

## الفن الإسلامي

تأليف  
أبو صالح الألفى

## الفن الإسلامي

الفن الإسلامي: أصوله - فلسفته - مدارسه. كتاب كبير ألفه أستاذ تاريخ الفن بكلية الفنون الجميلة والآثار الأستاذ أبو صالح الألفى، تكلم فيه عن الحضارات القديمة ومظاهرها ومراكزها وفنونها ومميزات كل.

ولما كانت حضارة مصر، دينية، تحلم بالخلود وتعرف البعث والعالم الآخر فقد قامت فنونها تنهياً لهذه المرحلة، وتتغيا هذا الهدف الذى وصل إلى مرتبة العقيدة.

يقول الأستاذ أبو صالح الألفى:

(تخطيط المعابد يعتمد على الخط الممتد فى طريق الكباش إلى قدس الأقداس، مارا بالفناء السماوى إلى بهو الأعمدة، يرمز إلى الطريق الطويل الذى يقود الإنسان من الحياة الدنيوية الفانية، إلى الحياة الأخروية الباقية فى رحلة شاقة. يعتمد فيها على الإيمان والإخلاص والوفاء والخلق القويم).

ويقول: (إن ما وصل إليه الفنان المصرى القديم، من قيم عالية من حيث الاتزان والإبداع فى الرسوم والنقوش الجدارية، لم يعتمد فيها على معالجة الخطوط فقط، وإنما اعتمد أيضا على توزيع المساحات والقيم الضوئية مما يجعل الفن المصرى القديم سابقا لجميع الحضارات فى الوصول إلى هذا المستوى التشكىلى البحت، الذى يعتبر الهدف الأول لكثير من مدارس الفن المعاصرة، بالإضافة إلى المضمون الفكرى الذى يتضمنه كل خط وكل سطح).

وحين تكون (الواقعية) فى الفن الإغريقى فردية محدودة غيرها فى الفن المصرى كونية هندسية.

يقول الدكتور أنور شكرى فى كتابه (الفن المصرى القديم).

(لقد مكث الفنان المصرى يمثل الأشياء من أخص مظاهرها دون اعتبار لما يظهر أو يختفى منها لعين الرائي، ولم يشأ أن يسجل المظاهر العارضة والأحداث الزائلة كالظلال المتغيرة، إذ لم يكن يعنيه أن يسجل لحظة معينة من وجهة نظر محدودة، قدر ما كان يعنيه أن ينشئ صورة خالدة أقرب إلى الأصل الحقيقى بما تصوره من خصائص ذاتية).

والمؤلف يلتقى معه فى هذا الرأى.

ويقول رينيه ويج: هذا الفن المصرى كان من أوائل الفنون التى جرؤت على التبسيطات الكبرى فى التجسيم.. حتى إن الرسام التكعيبي أندريه لوت، فى سنواته الأخيرة، تأثر تأثراً بالغاً بالفن المصرى، وأدرك ما فيه من اتجاهات يحاول الفن الحديث محاكاتها.

وإذا كان المسرح أبا الفنون فإن العمارة أمها.

وقد استوعبت العمارة المصرية فنون مصر التشكيلية كلها.

وفنون مصر القديمة والمسيحية والإسلامية بينها خيط حريرى غير منظور بحيث لاتسقط الأضواء عن قسماتها أبداً.. وإن كانت فنون مصر المسيحية فنوناً شعبية لأن المسيحية فى قرونها الأولى فى مصر لم تكن تحكم أو تملك فهى دين الطبقات الشعبية ثم هناك عامل «التقية» فنمها حبيس الأديرة والكهوف.

وعن التصوير فى الإسلام يقول المؤلف إن الأوائل استشعروا الحرج منه لقرب العهد بالأصنام ولكن رجال الدين المعاصرين يبيحون التصوير مادام لا يصرف المسلمين عن العقيدة أو العمل. وهنا استشهد بقول الإمام الشيخ محمد عبده (يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد التحقق أنه لا خطر منه على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل).

ومثل هذا قال به الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى مقدمة كتبها للمعرض الفنى الرابع لطلاب الأزهر عام ١٩٦٤.

والفنان المسلم حين يتناول عناصر الطبيعة ويفككها إلى عناصر أولية يعيد تركيبها من جديد في صياغة طروب عذبة يشبه الفن التكميبي في العصر الحديث فهو أيضا يقوم على صياغة إيقاعية جديدة للعناصر الطبيعية بعد تحليلها إلى سطوح وأحجام هندسية .

وهنا يقارن الأستاذ أبو صالح الألفى قائلا:

(الفارق بين الفنان المسلم والفنان المعاصر أن الفنان المسلم حقق فاعليته الفنية التي استشعرها في نفسه تعبيرا عن موقفه إزاء الطبيعة، أما الفنان المعاصر فإنه يعبر عن فلسفة عقلية منطقية والفنان المسلم يقدم لنا في رقة وأناقة وعذوبة صياغته الجديدة أما الفنان المعاصر فكثيرا ما يقدم لنا أشكالا مشوهة لا تحقق الاستمتاع الجمالي واستشعار العذوبة التي نلمسها في الفن الإسلامي) .

ويلاحظ المؤلف الارتباط بين الفنان المسلم والأسطورة الشعبية في فنون تشكيله فهو يهوى الأشكال الحيوانية المركبة أو الخرافية على أساس أنها من الممكن أن تكون كذلك وهو في هذا يسير على هدى الآية الكريمة (ويخلق ما لا تعلمون) .

والفنان المسلم في هذا الصدد لا يغيب عنه رموز ألف ليلة وليلة وإحساس المسلم الدائم بوجود الباطن وعدم الاكتفاء بالظواهر من بهرج الحياة .

إنه في بحثه الدائب والدائم عن أشكال جديدة تثير الخيال يتمثل الآية الكريمة (يزيد في الخلق ما يشاء) ، وعند المؤلف أن الفنون الإسلامية ابتعدت عن التجسيم .

ويقول المؤلف بظاهرة هامة تبرز شخصية الفن الإسلامي وهي تقسيم السطح إلى مساحات ذات أشكال هندسية مختلفة وداخل هذه الأشكال يعطى الفنان المسلم لنفسه الحرية في اختيار الوحدات الزخرفية استمدادا من العناصر النباتية إلى الأشكال الهندسية أو الحيوانية أو الخطية وقد يجتمع في المساحة الواحدة هذه الأنواع الزخرفية كلها وكثيرا ما يكون الانتقال مفاجئا غير متوقع من عناصر زخرفية ذات طبيعة خاصة إلى عناصر أخرى .

ثم تكلم عن ألوان الخطوط في الفن الإسلامي ودورها وخطرها في تحرير الأشكال أو إعطائها بعدا جديدا .

وإنه لهما يثير العجب حقا والإعجاب معا، قدرة الفنان المسلم على الموازنة بين الخط اللين والخط الهندسي في تآلف عجيب، مع اختلاف طبيعة كل نوع من هذه الخطوط.. الأمر الذي استهوى واستوقف الباحثين والدارسين .

ووقف المؤلف وقفة ليست بالقصيرة عند اللون باعتباره صفة طبيعية من صفات الأشياء .

واللون مرتبط أشد الارتباط بالنور إذ لا يمكن رؤية اللون في الظلام .

واللون يستعمل لذاته قيمة جمالية

وقد يخدم الرمز .

يقول جون ديوى (الواقع أن لدى العينين تعطشا للضوء واللون) ويغلب على الفن الإسلامى الألوان الزرقاء والخضراء والذهبية وقد تأثر «ماتيس» بالألوان الإسلامية عند زيارته لشمال افريقية .

وإذا كانت الألوان نقيه فإنها تعبر عن النور والظلمة والفن الإسلامى لا يحب الفراغ ولهذا فهو يملأ السطح بالنقوش والنممة وهو هنا من أغنى الفنون فى التنوع والوفرة شاهد الحضور على واجهات المباني أو التحف أو الأعمال التشكيلية المختلفة .. مستغلا القيم الللمسية لسطوح الخامات الطبيعية .. مكونا من هذه كله ايقاعا جميلا يعذب ويحلو على التردد .

والإيقاع فى الفن الإسلامى يعتمد على التماثل والتناظر والتبادل كما يعتمد على الخط اللين والهندسى وتعدد المساحات فى توزيعها وتنوعها ثم يأتى الإيقاع الخطى متراقصا يوحى بالمسرة . ولهذا كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين لاسيما أنهم منوط بهم تحديد الفراغات التى يملؤها الرسام .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول بعد هذا كله إن الفن الإسلامى فن زخرفى وله فى هذا شخصية لاتخطوها العين، فحين تتشابك قواطع الزوايا وتتزوج الأشكال الهندسية لتحقيق مزيد من الجمال الرصين .. وحين تتجاوز فى وفاق الدوائر المتماسة والجدائل، والخطوط المنكسرة والمتشابكة وينضم إلى الجمع السعيد المثلث والمربع والمعين والمخمس والمسدس، تجد الفنان المسلم والفن الإسلامى .

ويتبادل الخط الهندى والخط المنحنى التطريب والترديد .

يقول الأستاذ بشر فارس:

(وكلا النوعين ينفرش على المهاد ويكسو العصاب ويثب على الإفريز ويتناول العرضى ويهجم على الفراغ وتبلغ به الهمة أن يتعرج حتى فى الأكسية ..

تلك نشوة مشت في الخط تُنبئك أن أفق الغيب المستغلق المؤمن، مشغلة دائمة لذوقه).

ويتكلم الكتاب في استفاضه عن العناصر المعمارية الإسلامية من مساجد ومآذن وقباب وأعمدة وعقود ومداخل ومقرنصات ثم تكلم عن طرز العمارة في المساجد الأولى ثم العصر الأموي ثم العصر الأموي المغربي ومميزاته ثم الطراز العباسي ممثلاً في بغداد ومدينة سامرا وقصر الأخيضر والجامع الأزهر باكورة العصر الفاطمي ثم جامع الحاكم وأسوار القاهرة

بعد هذا الطراز الأيوبي والطراز المملوكي ودرته مسجد ومدرسة السلطان حسن.

ثم الطراز السلجوقي والطراز المغولي.

ثم الطراز المغربي الإسباني.

ثم الطراز الصفوي والطرازي الهندي.

ثم الطرازي التركي العثماني.

ويتحدث الكتاب حديثاً موسعاً عن (التصوير والفنون التطبيقية والزخرفية)

ومدارسها.

ولما كان (فن الكتاب) من أهم الفنون الإسلامية تحية لأخذ كتاب وهو القرآن الكريم فقد اشتمل هذا الفن على: الخط والتذهيب والتصوير والتجليد حتى انفرد الفن الإسلامي من بين فنون العالم بالخط الزخرفي الذي استعمل في أوسع نطاق وفي جميع المنتجات الفنية.

ووقف الكتاب عن فن النحت وفن الحفر وفن الخزف وفن الفسيفساء وفن شبابيك القلل داننلا الفخار وقد اختصت مصر بهذا الفن وهي التي جمعت فأوعت الفنون الأخرى جميعاً.

وتناول الكتاب فن الزجاج والبلور وفن النسيج والأبسطة وهذا كله على امتداد ٣٠٥ ثلاثمائة صفحة وخمس صفحات، يضاف إلى هذا ملزمتان أي ٣٢ صفحة (هما اثنتان وثلاثون صفحة) من اللوحات قريى إلى الله. الفن الإسلامي بما أبدع أصحابه وجوده تشكيليين وكتاباً.